معلومات جغرافية عن :

الحبشة

للأستاذ عمر رشدى

الأمبراطورية الحبشية القديمة :

تحتل الأمبراطورية الحبشية ، فضلا عن الجزء الذى تحتله من حوض النيل ، أودية الهواش والأدمو والجوبا وخور الجاش وخور بركة ؛ وحوض النيل قوى الصلة ببلاد الحبشة القديمة التى يسكنها الشعب الحبشى والتى تقع فى الجزء الشمالى والشمالى الغربى من الهضبة ، وهذا الجزء الذى يرتكز على أعالى النيل الأزرق والسوباط والعطبرة هو النواة التى تكونت حولها الأمبراطورية الحبشية القديمة وتبلغ مساحته ٤٠٠٫٠٠٠ كيلو متر مربع . ومثل معظم الأقطار الجبلية الأخرى تقسم الظاهرات التضاريسية هذا الجزء إلى وحدات سياسية مستقلة أمثال تيجرى وجوجام وشوا وامهرا ، وهذه هى الممالك الأربع الحبشية الرئيسية ويحكم كل منها رأس ، وليس من السهل توحيد هذه الأقطار تحت سيادة ملك واحد كشأن الأقطار الجبلية عموما .

الحروب والرقيق وأثرهما فى اختلاط الشعوب :

هذا القطر الجبلى قد أصبح إلى حد ما ملجأ للعناصر المختلفة ، ولذلك نجد به صفات ثقافية وجنسية متعددة . وعلى الرغم من أن بلاداً جبلية كالحبشة تساعد على أن تحتفظ الوحدات الجنسية المختلفة بمميزاتها الثقافية وصفاتها الجنسية ، فإن هناك عوامل خاصة دعت إلى الاختلاط والامتزاج من أهمها الحروب الكثيرة وتجارة الرقيق التى كانت منتشرة فى الحبشة إلى وقت قريب جداً على نطاق واسع حتى أن الفرد لم يكن يحسب لدينه حسابا بقدر ما يحسب له إذا ما كان رقيقاً أو حراً . لهذا نجد الصفات الجنسية الخليطة بين الزنجية والقوقازية هى الصفات الغالبة فى الحبشة إذ تمثل نحواً من ٧٠٪ من السكان ، وهناك حوالى ١٥٪ من السكان من الزنوج الصرف كقبائل الشنجلة Shankala . « بمعنى العبيد » التى توجد فى الجزء الجنوبى والجنوبى الغربى من الحبشة . هذا بالإضافة إلى الجماعات النيلوتية الموجودة فى غمبيلا من الأتراك ثم هناك حوالى ١٥٪ من السكان من الجماعات التى تغلب فيهم الصفات الجنسية القوقازية ، وهذه توجد فى الجنوب والشرق والشمال الشرقى . والصفات الجنسية الغالبة هى القامة المتوسطة والشعر المجعد واللون الأسمر القاتم والشفاه المعتدلة .

الهجرة السامية :

الهجرة السامية التى صبغت البلاد الحبشية بالصبغة السامية التى تتصف بها الهضبة الآن ، قد دخلت البلاد قبل الميلاد بعدة قرون « حوالى القرن الخامس » فقد سمع أهل اليمن عن بلاد الحبشة وما فيها من خير وفير ، وساعدهم تشابه بيئة الحبشة ببيئة بلادهم على عبور البحر الأحمر إليها واستيطان الجزء الشمالى منها ، وكانت هذه القبائل التى هاجرت من بلاد العرب الجنوبية تعرف باسم « حبشات » ولذلك أطلق على هذا الجزء الشمالى من الحبشة اسمها ، ومن ثم عمم العرب هذه التسمية فأطلقوها على البلاد كلها الواقعة بين خطى عرض ٤° ، ١٥° شمالا .

اللغة الحبشية :

كانت الجماعات اليمنية التى هاجرت إلى هذه البلاد لا تتكلم بلهجة واحدة بل بلهجات متعددة ، وكانت اللغة التى تتكلم بها تعرف باسم « الغيز » التى لا تزال لغة المعابد هناك ، ولغة الغيز لا تستعمل الآن ولكن لهجات إقليم تيجرى قريبة منها . أما

وهى عشائر تتكلم العربية وتعيش عيشة بدو العرب فى البوادى[1] على رأى أكثر الباحثين من أصل لا يمت إلى العرب بصلة قد يكون من أصل مسيحى استعرب وتبدى . وقل مثل ذلك عن الفرس والأتراك الذين اندمجوا فى العرب ونسوا أصولهم وعدّوا أنفسهم من أقحاح العرب .

عباد على

---

(١) راجع أبحاث العلامة الأب أنستاس و La Monde Oriental عن الصليب .

اللغة السائدة الآن فهي اللغة الأمهرية وهي لغة سامية اختلطت بها بعض الألفاظ الحامية وتكتب بحروف تشبه الحروف اليمنية التي تكتب بها لغة اليمن والتي هي لغة حمير ، واللغة الأمهرية هي لغة التعامل والتخاطب ، ولا يزال هناك شعب الأمهرة الذي يحتل الجزء الواقع في شرق بحيرة تانا وإلى الجنوب الشرقي منها وعاصمتهم أديس أبابا .

الديانة الحبشية :

كما أن بلاد الحبشة كانت ملتقى العناصر المختلفة من حامية وسامية فهي كذلك البقعة التي اجتمعت فيها شتى الديانات من مسيحية ويهودية وإسلامية فضلا عن الوثنية . وقد كان الدين السائد فيها هو الدين اليهودي الذي جاء من اليمن التي كان يسودها هذا الدين قبل انتشار الإسلام ، ولا يزال إلى الآن في الحبشة جماعات تدين بالدين اليهودي وتعرف باسم « الفلاشة » ويسكنون إقليم سيمين الجبلي ، وإذا نظرنا إلى بيئتهم الجبلية المنعزلة استطعنا أن نفسر بقاءهم إلى وقتنا هذا بعيدين عن المؤثرات المسيحية التي سادت معظم تلك البلاد . ومن بين العشرة ملايين نسمة التي يتكون منها الشعب الحبشي نجد نحوا من ثلاثة ملايين يدينون بالمسيحية التي أدخلها المبشرون إلى البلاد في القرن الرابع الميلادي وأصبحت دين الأسرة الحاكمة الرسمي سنة ٣٥٠ م عندما اعتنقها الملك « عزانا » ، أما البقية الباقية من السكان فكثرتها تدين بالإسلام ولا يقل معتنقوه عن خمسة ملايين نسمة .

وعلى الرغم من ظهور الإسلام ونفوذه في الحبشة وقربه منها فقد ظلت الحبشة ملجأ للدين المسيحي وسط الوثنيين والمسلمين واليهود ، فتاريخ المسيحية هناك عبارة عن سلسلة متصلة الحلقات من الكفاح لتثبيت قدمها ومقاومة انتشار الإسلام . وفي الواقع يصطبغ هؤلاء المسيحيون بالوثنية القديمة أكثر منها بالمسيحية ، ويتمثل هذا في بعض عاداتهم مثل تعدد الزوجات ، وأكل اللحم النيء ، ومع أن مسيحيتهم سطحية فاننا نجد حوالي ربع سكانهم من الرهبان ، والديانة السائدة في الحبشة هي الديانة الأرثوذكسية .

الصلات بين اليمن والحبشة :

كانت هذه الصلات قوية في أوائل العهد المسيحي وفي القرن السابق له مباشرة ، والدماء الحبشية متأثرة تأثرا كبيرا بدماء سكان بلاد اليمن القدماء . ومما يدل على وجود هذه العلاقة بين الأحباش والساميين تلك الأسطورة الحبشية القديمة التي تتصل عناصرها بقصة من قصص الكتاب المقدس والقرآن الكريم وهي قصة ملكة سبأ وسليمان ، فالأسطورة الحبشية تتحدث عن تنين عظيم كان يحكم البلاد قرونا طويلة وكان على جانب عظيم من الشجاعة والشراهة إذ كان يفترس يوميا عددا كبيرا من الأبقار والثيران والماعز والضأن إلى جانب ما يقدم إليه من العذارى حتى ضاق السكان به ذرعا فلجأ إلى شخص اشتهر بالقوة ليقتل التنين ويتولى الملك ففعل ، وأنجب ابنة هي التي عرفت في التاريخ باسم ملكة سبأ ، ودخلت في حرم سليمان وقد وضعت ولدا أطلقت عليه إسم سليا بن سليمان هو المعروف في التاريخ الحبشي باسم « منليك الأول » الذي أسس الأسرة السليمانية التي جلست على عرش الحبشة من سنة ٩٥ ق . م إلى سنة ١٨٥٥ م .

شعوب الحبشة :

يتكون سكان الحبشة من شعوب مختلفة ، لا تختلف فيما بينها في الجنس فحسب ، وإنما تختلف أيضا في اللغة وفي الشكل وفي العادات وفي الدين . ويطلق خطأ على كتلة هذه الشعوب اسم « الأحباش » فهؤلاء لا يمثلون في الواقع إلا جزءا من هذه الشعوب يبلغ ثلث عدد سكان الحبشة الذي يتراوح بين ٨ و ١٢ مليون نسمة على أرجح التقديرات . ويحتل الأحباش مقاطعتي تيجرى والأمهرة وشمال مقاطعة جوجام وجزءا من وسط مقاطعة شوا ، وتشمل هذه المقاطعات أكثر من ثلث مساحة الأقليم . ويتكون الجزء الأكبر من بقية السكان من فروع مختلفة من شعب الجلا العظيم الذي أخذ يغزو الأقليم منذ بدء القرن السادس عشر الميلادي واحتل جزءا كبيرا منه .

وتنتشر على طول الحافة الشرقية تلك القبائل المسلمة المعروفة باسم الدناقل Danakil والإيسا Issa والصوماليين ، وأخيراً توجد في الجنوب الشرقي قبائل أوغادن . وتعيش على هامش هذه القبائل الرئيسية السابقة وفي ثناياها أخلاط غريبة من الشعوب التي تميزها صفات خاصة ، ولعل أكثر هذه الشعوب غرابة هي

الفلاشة اليهودية التي تحتل خاصة منطقة جبال سيمين شمال بحيرة تانا ، ثم الجوراج التي تعيش في المنطقة التي تحمل هذا الاسم في جنوب شرق أديس أبابا .

الرجباسه :

الأحباش شعب محارب وهم على استعداد دائم للحرب ، إذ يحمل كل رجل منهم بندقيته باستمرار . وهم شعب فخور باستقلاله الذي تمتع به قرونا طويلة ، فخور بدينه الذي احتفظ به خلال ألف وخمسمائة عام ، فقد ظلت الحبشة أربعة عشر قرنا ، وهي أرض المسيحية في وسط هذه البحار من الوثنية . ومن صفاتهم المعيبة غلظتهم وقسوتهم الشديدة ولا سيما على الحيوان . ويحيط بالحاكم أو الرئيس أعداد كبيرة من الجند ، وهؤلاء في العادة كسالى ولا نفع لهم . ولا تعنى الطبقات الفقيرة بالأخلاق ، فالفجور منتشرة والأمراض الخبيثة تفتك بهم فضلا عن أمراض الجذام والعمى ، ولعل ذلك يرجع إلى كثرة الذباب الذي ينقل جراثيم هذه الأمراض ، وإذا شعر الحبشي بالمرض يدب في جسمه أيقن بأن نهايته قد دنت وفقد كل أمل في الشفاء .

الجالا :

مجموعة الجالا هي أكثر المجموعات الجنسية عددا في الحبشة ، وهي تسكن مساحات واسعة قد انتشروا عليها عند ما لجأوا إلى هذه البلاد في أوائل القرن السادس عشر الميلادي . ويبدو مع ذلك أنهم جنس مميز حامي الأصل قد تفرع الآن إلى فروع مختلفة على الرغم من أنهم يتكلمون لغة واحدة وأنهم قد جاءوا — حسب مايعتقدون — « عبر المياه » أي عبر البحر الأحمر أو ماهو أكثر احتمالا عبر بحيرات أفريقيا الاستوائية الكبرى ، ولكن هذه المسألة لم تبحث بحثا وافيا . وهناك رأي يقول إنهم قد جاءوا من بلاد العرب في زمن بعيد مضى مخترقين أفريقية الشرقية البريطانية ومهاجرين إلى الجنوب الغربي إلى البحيرات الكبرى ومن هناك عموا شطر الحبشة شمالا مخترقين بورانا Borana ، وعندما جاءوا من الهضبة الوسطى استقروا في المناطق الجنوبية والغربية وبعضهم استقر على الحدود الشرقية بين الحبشة وصحراء آنسار .

والجالا رعاة يحبون الحرب وفيهم صفاتها ، وقد خضعوا أخيرا للامبراطور منليك وذلك لكثرة ما أمده به الفرنسيون من الأسلحة ، ومن ذلك الحين لم تجد هذه القبائل وسيلة لأشباع هذه الطبيعة في نفسها إلا في مقاتلة بعضها البعض الآخر ، أو في شن الغارات على جيرانها ، ولكنهم مع ذلك لا يحتكون مع الأوروبيين أو مع غيرهم من الأجانب . والجالا عموما أكثر سوادا من الأحباش وأقل تقدما . وكلما بعدنا عن العاصمة بدت وحشيتهم التي تتمثل فتشاهد في هيأتهم وعاداتهم خصوصا بين الجماعات الوثنية . وتوجد في إقليم جبلي Gille أقذر جماعة رأتها العين من الجالا ، فالسواد يغشى وجوههم وملابسهم وماشيتهم أيضا ، ويتخذون بيوتا أكواخا حقيرة محاطة بزريبة صغيرة حيث تساق إليها الماشية ليلا لحمايتها . ورائحة هذا المكان وقذارته لا يمكن أن توصف ، ويبدو أن الشمس تعمل كمطهر لهذه الأمكنة ، ولهذا السبب على مايظن لا تصيبهم الأمراض على قدر ما يحيط بهم من الأوساخ والأقذار . وجماعات الجالا التي تسكن أقليم شوا أقل توحشا ، فإن تدينهم بالمسيحية جعلهم يفقدون العادات الوثنية القديمة ، كما أن اقترابهم من أديس أبابا جعلهم يتصلون بالأحباش الفاتحين بطريق الزواج والاختلاط .

والجالا يلبسون ملابس بسيطة فيضع الرجال قطعة من الجلد على أكتافهم أو يلتفون بقطعة من القماش القطنية ، أما النساء فيلبسن رداء من الجلد مكونا من قطعتين إحداهما أشبه «بالجونلة» والأخرى توضع على الأكتاف ، ويحلون بالأساور والعقود والخواتم المصنوعة من النحاس أو الحديد أو العاج . ويظهر أنهم يأكلون أي شيء تقع عليه أيديهم ، ويعتمدون في غذائهم على ما يصيدونه من الحيوانات البحرية ، ويستعملون في صيدهم للأسماك قوارب عجيبة لا تطفو فوق الماء بل تغطس تحته وبذلك يظل السمك طازجا .

وللجالا طريقة عجيبة في جمع هدايا الزواج ، فعند ما يرغب

شاب فى الزواج ، يقوم والده بتوزيع بعض الهدايا كالماعز بين أقاربه لينال رضاهم ، وتأخذ المسألة هذا النحو عند ما تكون العروس المنتخبة لم تزل فى المهد صبية ، وعند ما تبلغ الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة يحدد يوم الزفاف ويذهب والد العروس إلى أصدقائه جميعاً لينتقى الهدايا ، ثم يعود إلى بيته ويصف للخادم هذه الحيوانات التى انتقاها ثم يكلفه بالذهاب لجمعها ، ويندر أن يخطىء الخادم فى معرفة هذه الحيوانات فإن ذاكرتهم قوية جداً . وعندما يتسلمها الأب يرسلها مع الفتاة كنوع من الصداق ، وهو يعلم تماما عند انتقائه لهذه الهدايا أنه سيجىء اليوم الذى يجمع فيه هؤلاء الأصدقاء هدايا لبناتهم ولذلك يختار هذه الهدايا بحذر . وإذا ما هربت امرأة من منزل زوجها وأنجبت من رجل آخر مولوداً ذكراً فإن لزوجها الحق فى أن يعتبر هذا الولد ابناً له وكثيراً ما يحدث ذلك .

بعض عادات الأحباش :

هناك عادات كثيرة للأحباش تجعلهم يختلفون تماما عن معظم شعوب أفريقيا ، فعلى الرغم من أنهم يدينون بالديانة التى أدخلها اليهود الأول إلا أن كرههم لليهود ظاهرة تستحق النظر ، ولعل ذلك الكره ناشئ عن تلك الحروب التى استمرت خلال الفترة بين القرنين الرابع والعاشر بين هؤلاء الذين تحولوا حديثا إلى الدين المسيحى وبين هؤلاء الذين ظلوا يهودا . ومن عادات المهاجرين الأول من الأحباش عادة قطع اللحم وأكله من الحيوان وهو حى ، ويصف لنا « بردس» حادثتان من هذا النوع أولاهما: أن جنودا قادوا بقرة إلى مكان خال حيث أوثقوها وقطعوا منها قطعة من اللحم ثم وضعوا على الجرح بعض الطين ، أما الثانية فقد كانت فى وليمة حيث أحضرت فيها بقرة حية أخذ الضيوف يقطعون من لحمها ويأكلون إلى أن ماتت بعد وقت ليس بالقصير ، ولكن أهل البلاد الآن ينفون حدوث مثل ذلك .

والأحباش لايدخنون على الرغم من أن الدخان ينمو بطبيعته هناك ، وقد كان الإمبراطور « يوحنا » يعاقب الذين يدخنون بقطع شفاههم ، ولعل هذا المنع جاء نتيجة لإعتقادهم بأن هذه العادة هى عادة إسلامية ، ولكل منهم زوجة واحدة لفترة ما ثم يعقبها زوجات أخر واحدة فواحدة . والطلاق هناك سهل وكثير ، وإذا ما طلقت المرأة مراراً رغب الرجال فى الزواج منها لكثرة ما تملكه . وللمرأة الحق فى تطليق زوجها بنفس السهولة التى يطلق بها الرجل المرأة . والنساء هناك لا يشتغلن بعمل ما فلا يحملن الماء ولا يغسلن ولا يصلحن من ملابس أزواجهن ولا يطهين . ونساء الطبقة العليا لا يخرجن إلا نادرا وإذا خرجن خرجن محجبات على ظهور البغال ويسحبهن حارس يسير إلى جوارهن .

عمر رشدى

ليسانسيه فى العلوم الجغرافية

إعلان مناقصة

تقبل عطاءات لغاية الساعة العاشرة من صباح يوم ٢١ نوفمبر سنة ١٩٤٥ بمصلحة السجون نمرة ٤ شارع البستان بمصر عن توريد جورابات صوف وقطن وفانلات ولباسات قطن وصوف وصوف على قطن ومناديل كاكى وباقات والشروط تباع بمبلغ ٤٠٠ مليم بالمصلحة وترسل بالبريد إذا طلبت على عريضة دمغة فئة ٣٠ مليم نظير دفع الثمن ويمكن الاطلاع عليها بالمصلحة وبوزارة التجارة والصناعة واتحاد الصناعات بالقاهرة والاسكندرية والغرف التجارية المصرية . ٤٤٣٧